بسم الله الرحمن الرحيم

مكارم الأخلاق

أحبتي في الله ، حصر النَّبِيُّ ﷺ المهمة التي بعث بها في مكارم الأخلاق ، فقال: **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق** (أخرجه البخاري في الأدب وصححه الألباني) ، ومدحه الله تعالى فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤) ﴾ [القلم:٤] ، ومكارم الأخلاق تتمثل في جميع صنوف الخير ، ولقد جاءت الشريعة الغراء تحثنا على ذلك وسنتناول بعضها بالأدلة الشرعية .

١- بر الوالدين

إخوتي في الله ، لم يجعل الله تعالى لأحد حقاً يلي حقه وحق رسوله ﷺ إلا للوالدين فقال: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[النساء:٣٦] ، فالوالدين تعبا على الولد ، ولا سيما الأم قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾[الأحقاف:١٥] فالأم تعبت في الحمل ، وعند الوضع ، وبعد الوضع ، وفي ارضاعة ، . . ولهذا كانت أحق الناس بحسن الصحبة والبر حتى من الأب ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: **أُمُّكَ** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **أُمُّكَ** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **أُمُّكَ** قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **ثُمَّ أَبُوكَ** (متفق عليه) ، ولقد قَدَّم النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله ، كما في حديث ابن مسعود ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا** قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **بِرُّ الوَالِدَيْنِ** قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**(أخرجه البخاري) ، وأمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين ، وبخاصة حالةُ الشيخوخة ، فلا تضجر ولا تتضايق ولا تستثقل شيئًا

من أحدهما أو منهما ، ولا تسمعهما قولا سيئًـــا ، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ، ولكن ارفق بهما ، وقل لهما دائما قولا لينًا لطيفًا ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) ﴾[الإسراء:٢٣] ، ولقد أمر تعالى الابن بأن لا يطع والداه إذا أمراه بالشرك أو بمعصية الله تعالى ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ويصاحبها في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه ، فقال : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾[لقمان :١٥] .

٢- صلة الأرحام

أحبتي في الله ، من مكارم الأخلاق صلة الرحم وتكون: بالزيارة ، وبالهدية ، وبالدعاء ، وبتقديم يد العون والشفاعة لمحتاجهم ، وبالصدقة للمحتاج منهم ، . . ولقد حذر الله تعالى من قطيعة الرحم ، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾[محمد:٢٢-٢٣] . وكذلك حذر النبي ﷺ: من قطيعة الرحم ، فقال: **لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ** (متفق عليه) ، ولقد بين الحبيب ﷺ بان الواصل ليس الذي يكافيء الرحم على صلتها بالزيارة ولكن الذي يصل الرحم التي تقطعه ، فقال: **لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا** (أخرجه البخاري) ، لذا لما اشتكى رجل قطيعة رحمه له وأذاهم له لرسول الله ﷺ: فَقَالَ: **لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ** – أي تضع التراب أو الرماد الحار في أفواههم- **وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ** (أخرجه مسلم) .

إخوتي في الله ، إذا كان وصل من قطعك يعد من مكارم الأخلاق فكذلك وصل من وصلك هو أيضاً من هذا الباب ، لأن من وصلك وهو قريب ، صار له حقان: حق القرابة ، وحق المكافأة ، لقول النبي ﷺ : **وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ** (أخرجه أبو داود وصححه الألباني)، وهذا عام للأرحام وغيرهم وهذا من مكارم الأخلاق .

٣- الإحسان للجار

أحبتي في الله ، من مكارم الأخلاق: الإحسان للجار ، ولقد جاءت السنة المشرفة تؤكد ذلك ، فقال النبي ﷺ: **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ** (متفق عليه) ، وقال أيضًا: **يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ** (أخرجه مسلم) ، وقَالَ : **مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ** (متفق عليه) ، وحذر النبي ﷺ من مغبة إيذاء الجار فقال: **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ** (أخرجه مسلم) ، أي شروره ، والجار إن كان مسلماً قريباً ، كان له ثلاثة حقوق: حق الإسلام ، وحق القرابة ، وحق الجوار ، وإن كان قريباً جاراً ، فله حقان: حق القرابة وحق الجار ، وإن كان جار مسلماً غير قريب فله حقان: حق الإسلام وحق الجوار ، وإن كان كافراً ، فله حق الجوار .

٤- كفالة اليتيم والإحسان إلى الأرملة والمسكين

إخوتي في الله ، من مكارم الأخلاق أيضاً كفالة اليتامى ، واليتيم هو الذي مات أبوه قبل بلوغه ، ولقد حثنا الحبيب ﷺ على كفالة اليتامى بالنفقة عليهم ومراعاة مصالحهم والإحسان لهم ، فقال: **أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى (أخرجه البخاري) ، وحثنا النبي ﷺ بالإحسان بالمساكين ، والأرامل اللاتي مات أزواجهن

وقد فقال: **السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ** (أخرجه البخاري)

٤- الإحسان لابن السبيل

أحبتي في الله ، من مكارم الأخلاق أيضًا الإحسان لابن السبيل وهو المسافر الذي انقطع به السفر ؛ لأن المسافر غريب ، والغريب مستوحش ، وحذر النبي ﷺ عن منع الماء عنهم بل واعتبر ذلك من أسباب منع العبد من كلام ربه يوم القيامة ، فقَالَ: **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** – وذكر منهم – ، **رَجُلٌ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ فَضْلَ مَاءٍ عِنْدَهُ** . .(أخرجه أبو داود وصححه الألباني) ، فإذا آنسته بإكرامك وإحسانك ، فإن هذا مما يأمر به الشرع ؛ قال تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٣٨) ﴾ [الروم :٣٨] .

٥- الإحسان بالخلق

إخوتي في الله ، من مكارم الأخلاق الرفق بالخادم والمملوك بأن تطعمه إذا طعمت وتكسوه إذا اكتسيت ، ولا تكلفه ما لا يطيق ، لقول النَّبِيِّ ﷺ: **لِلْمَمْلُوكِ طَعَامه وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيق** (أخرجه البخاري في الأدب مفرد) ، وكذلك الرفق بالبهائم سواء كانت مما تركب أو تحلب أو تقتنى ، ولذلك لما سئل النبي ﷺ : وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: **فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ** (أخرجه البخاري) ، وهذا يدل على كمال الشرع ،وأنه لم ينس حتى البهائم بل جعل لها حقاً

٦- التواضع و عدم البغي

أحبتي في الله ، من مكارم الأخلاق التواضع وعدم البغي لقول النبي ﷺ: **وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ** (أخرجه مسلم) ، .

فالبغي على الخلق يكون في الأموال ، والدماء والأعراض .

٧- الصبر والحلم

أحبتي في الله ، من مكارم الأخلاق الصبرعلى البلاء ، بعدم التسخط على القضاء ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية ، كاللطم ، وشق الثياب ، وغير ذلك ولقد بين الله تعالى أجر الصابرين فقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] ، وكذلك الصبر على أذى الناس ، وبين الحبيب ﷺ أن القوي ليس سريع الغضب فقال: **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ** (متفق عليه) ، ولقد حثنا الله تعالى على الحلم والعفو والإحسان والصفح الجميل لمن أساء إلينا بالثواب الجزيل في الآخرة ، وأن تصبح القلوب متحابة بعد أن كانت متباغضة ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) ﴾ [فصلت: ٣٤] ، وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ»** (أخرجه أبو داود وحسنه الألباني) .

٨- الصدق وحسن الوفاء بالعهد وعدم الغدر

إخوتي في الله ، من مكارم الأخلاق الصدق وحسن الوفاء بالعهد وعدم خيانة العهد ، بل وبين الحبيب ﷺ أن من صفات المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار حدوث خلل في هذه الصفات ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** (متفق عليه) ، فلتحذر أخي الحبيب !!

للمزيد ارجع لكتاب : أخلاق الأسرة المسلمة [لأحمد عبد المتعال]

مكارم الأخلاق

إعداد : أحمد عبد المتعال

راجعها فضيلة الشيخ : أبو داود الدمياطي

خصم خاص للمتبرعين وفاعلي الخير

مكتبة الإيمان

المنصورة– تقاطع الهادي وعبد السلام عارف

٠١٠٠٠١٠٤١١٤-٠١٠٠٠٠٠٤٠٤٦



